مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه شبه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السما في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان
تاخذ اشيا فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم
بالايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدما وسلامة الاموال والاولاد
[illegible] وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم
وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدايم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد
وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا
ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في
الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم
من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة
انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه
بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف
التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة
واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما
فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف
صواعقه فيسد اذنه عنها مع انهم لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين
واهتزازهم بما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم

قرئ أظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء
اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى
لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها
الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ
لاذهب بسمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط
بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح
به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري
تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده وما شاء الله وجوده فهو
موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة
لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى
لانه شيء وكل شيء مقدور له والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل